

تهافت علم السياسة الحديث

ستيفن هايوورد

مركز اميريكان انتربرايز

14 سبتمبر 2010

The Irrelevance of Modern Political Science

By Steven F. Hayward

American Enterprise Institute (AEI)

ترجمة: علي الحارس (alharis.a@gmail.com)

• كبير خبراء في مركز اميريكان انتربرايز (AEI).

• باحث في مركز الدراسات الباسيفيكية (Pacific Research Institute).

• دكتوراه في الدراسات الأمريكية.

ستيفن هايوورد

في مقالته الأخيرة على صفحات جريدة (واشنطن بوست)، سجل الصحفي إزرا كلاين ملاحظته بأن المؤتمر السنوي الذي يضم أهم الخبراء الأكاديميين في مجال علم السياسة، وهو الجمعية الأمريكية لعلم السياسة (APSA)، قد انعقد وانتهى دون أن يترك انطبعا يذكر.

لقد تعودت واشنطن على أنه ما من مؤتمر يعقد فيها دون أن يستحوذ على انتباه جزء بسيط على الأقل من نخبة المدينة. فحتى الجمعيات النقابية المغمورة تجذب بعض أعضاء مجلس النواب، والمجموعات الأكبر تجذب أعضاء مجلس الشيوخ، وربما بعضا من كبار أعضاء الإدارة الرئاسية إذا حالفها بعض الحظ. لكن مؤتمر الجمعية الأمريكية لعلم السياسة لم يجذب أحدا من نجوم السياسة، ولم تكذ واشنطن تلاحظ أن ألمع مختصي السياسة قد تجمعوا بقضهم وقضيتهم في فندق ماريوت واردمان بارك. والأسوأ من ذلك أن هنالك ما يوحي بعلم هؤلاء المختصين بما جرى. فكانت إحدى اهتمامات المؤتمر، كما جاء على موقعه الإلكتروني، مناقشة السؤال الآتي: «هل لعلم السياسة صلة بمجريات الأحداث؟».

ويتابع كلاين فيرى أن أرباب السياسة في واشنطن مهملون بتجاهلهم علماء السياسة من الأكاديميين، ويورد أربع نقاط مفيدة، لكنها خلافية، يفترض بأنها مقترحة من بحث مشترك بين لجان الجمعية. حسنا، ربما يكون ذلك صحيحا، ولكن من النادر جدا أن نجد

تهافت علم السياسة الحديث

لديهم الحكمة السياسية المفيدة التي تبعد عن العبثية واللعب الممل بالأرقام؛ فمن يقدر على مقاومة الاطلاع على لجان أو دراسات تحمل العناوين الآتية:

- الجندر والطموح السياسي: وهي لجنة لمناقشة دراسة بعنوان: «الجندرة.. المفاهيم والمرشحون السياسيون: عائق مركزي أمام مساواة المرأة في السياسة الانتخابية».
- طبيعة الهضم: وهي لجنة لمناقشة عدة دراسات. وهي: «اللحم الذي لا نتناوله».
- «أكل لحم المثيل والمسألة الحيوانية». «السياسة والرغبة في أكل الحيوانات».
- مسلسل (ماد من): الديمقراطية والاقتصاد والجندر من منظور الدراما التلفزيونية في ستينيات القرن العشرين.

إن هذه العناوين توحى بمضامين مثيرة للاهتمام. لكن هذا الشعور ينتهي بمطالعة بقية العناوين لترى كيف يقوم الأكاديميون بخنق مواضيع مهمة. كمجموعة كتب (دراسات ليبوسكي) التي لا تميز بين الدودية (Dudism) والدادائية (Dadaism). والعنوان التالي الذي حملته إحدى الدراسات: «نحتاج إلى المرأة أحيانا في أعمال الرجال: الحركة النسوية والأعمال المنزلية والحدثة في مسلسل (ماد من)».

إن ما أشرنا إليه هو الجانب الهزلي من القضية: أما المشكلة الحقيقية التي يواجهها علم السياسة الأكاديمي فتتمثل في إصراره على محاولة محاكاة النزعة التجريبية لعلم الاقتصاد وغيره من العلوم الاجتماعية. كأن يتم الاعتماد على تحليل الحوادث المتعددة السابقة. والذي يكاد يكون المنهج الأوحى المعترف به في هذا المجال. صحيح أن بعض الأحداث السابقة نافعة في توضيح رأي شعبي حول مسألة ما في عالم السياسة أو نقضه. وهذا ما أشار إليه كلاين في مقالته. ولكنني دأبت على أخذ مقالة عشوائية من مجلة العلوم السياسية الأمريكية. والتي تعتمد المنهج الحسابي في معظم صفحاتها.

تهافت علم السياسة الحديث

والطلب من طلبتي أن يستخدموا هذه الطريقة للخروج بمعادلة حسابية تحقق السلام في الشرق الأوسط. فما كان من الطلاب. حتى أغباهم. أن أتموا المهمة بنجاح.

اسأل نفسك هذا السؤال: إذا بحثنا في مكاتب أرباب السياسة في واشنطن فهل ترجّح العثور على مجلات أكاديمية مختصة بالاقتصاد أم بالعلوم السياسية؟ لماذا لا يعاني الاقتصاديون من القلق ذاته حول «أهميتهم» وإن كانت مقارباتهم الحسابية لمادة البحث أكثر تنفييرا وانحصارا بفئة محددة؟

إن ما جاء به كلاين ليس جديدا. فقد لاحظ الكاتب جوزيف ناي هذه الظاهرة الغريبة في العام الماضي. وكتب عنها في صحيفة واشنطن بوست قائلا:

يبدي العلماء اهتماما أقل حيال الأسئلة المتعلقة بعلاقة عملهم مع عالم السياسة. كما إن التركيز على هذا العالم من شأنه الإضرار بالمركز الوظيفي في بعض الكليات. والترفيعات تهرع دائما نحو من يطورون نماذج حسابية ومنهجيات ونظريات جديدة تكتب بلغة غير مفهومة لا تهضمها أدمغة أرباب السياسة. ولقد أظهر مسح للأعداد الصادرة من مجلة العلوم السياسية الأمريكية أن مقالة واحدة من كل خمس مقالات تناولت وصفاً أو نقداً سياسياً خلال النصف الأول من القرن العشرين. وتناقص العدد إلى قلة قليلة بعد العام 1967. ولقد لاحظ المحرر لي سيغلمان في العدد المئوي من المجلة أنه «إذا كان التحلي بالصدق للوصول إلى السلطة والإسهام مباشرة في الحوار العام عن فضائل وذنابل المجالات المتنوعة للأفعال لا يزال يعد من مهمات هذه المهنة. فإن تصفح هذه المجلة الرائدة ما كان ليغني شيئا في معرفة ذلك».

وكما كتب صديقي الراحل توم سيلفر ذات مرة:

تهافت علم السياسة الحديث

تخيل نفسك معزولاً في جزيرة نائية مع عشرة كتب. ولكن هذه الكتب ليست من اختيارك. ولنفرض بأنها من تأليف خبراء علم السياسة السلوكية خلال السنوات العشرين الأخيرة. والسؤال هنا: هل ستموت من الملل. أم أنك ستنتحر قبل ذلك؟

إن هذا هو السبب في تحاشي متعاطي السياسة لمؤتمر الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية.